

انعكاسات الحرب الروسية الأوكرانية على مستقبل النظام الدولي Repercussions of the Russian-Ukrainian War on the Future of the International System

رشيد ساعد*

مخبر البحث والاستشراف في الدراسات السياسية المقارنة.

جامعة ابن خلدون – تيارت

saad.rachid@univ-tiaret.dz

تاريخ الاستلام: 2024/06/08 - تاريخ القبول: 2024/11/27 - تاريخ النشر: 2024/12/20

الملخص:

شكلت الحرب الروسية الأوكرانية واحدة من أهم الأزمات الجيوستراتيجية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، بحيث مثلت تهديدا للنظام الدولي القائم ولطبيعة القوى المشكلة له وفرضت حالة من عدم اليقين بشأنه، لذا تستهدف هذه الدراسة تحديد الأسباب الحقيقية لهذه الحرب، ومحاولة استشراف مساراتها وانعكاساتها على مستقبل النظام الدولي.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها أن هذه الحرب جسدت رفض روسيا لتمدد الناتو شرقا وحصارها استراتيجيا، وبأن استدامة النظام الدولي أو إعادة تشكيله مرتبطة إلى حد بعيد بنتائج هذه الحرب وبمواقف القوى الدولية المراجعة كالصين.

الكلمات المفتاحية: النظام الدولي؛ روسيا؛ أوكرانيا؛ الولايات المتحدة؛ الناتو.

Abstract:

The Russian-Ukrainian war constitutes one of the most significant geostrategic crises since the conclusion of World War II, as it represents a threat to the existing international system and the nature of the powers that comprise it, thereby creating a state of uncertainty regarding that system. Consequently, this study seeks to ascertain the underlying causes of this conflict and to endeavor to predict its ramifications for the future of the international system.

The study reached a set of conclusions, the most significant of which is that this war exemplified Russia's rejection of NATO's eastward expansion and its strategic encirclement. Furthermore, the sustainability of the international order or its restructuring is closely tied to the outcomes of this war and the positions of revisionist international powers, such as China.

Keywords: International System; Russia; Ukraine; United States; NATO.

مقدمة

تنطلق الواقعية من مسلمة مفادها أن العلاقات الدولية تعبر في جوهرها عن علاقات قوى تتفاعل فيما بينها في سياق الفعل وردّ الفعل بما يحقق مصالحها ويخدم أهدافها على الساحة الدولية، وهو ما ينعكس بشكل أو بآخر على بنية النظام الدولي استناداً إلى ميزة التفاعل بين الوحدات الدولية، وفي هذا الإطار

يتفق العديد من الدارسين على أن مرحلة ما بعد انهيار وتفكك الاتحاد السوفيتي شكلت نظاما دوليا قائما على القواعد الليبرالية تسيطر وتهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية.

وبموجب هذا الوضع الدولي الجديد عملت الولايات المتحدة على وضع القواعد والترتيبات المؤسسية بما يمكنها من ضمان استقرار النظام الدولي واستدامة هيمنتها عليه، وقد تجسد ذلك من خلال ضبط أدواتها بما يتلاءم واستراتيجيتها العالمية، من خلال إعادة هيكلة حلف الناتو، حيث استمر الحلف في أداء مجموعة من الأدوار وبصياغة وتبني مفاهيم استراتيجية تتماشى مع المتغيرات التي طرأت على البيئة الأمنية ما بعد الحرب الباردة، وفي هذا السياق تحاول الدراسة التي بين أيدينا أن تتناول بالتحليل الحرب الروسية الأوكرانية والتي شكلت أول حرب كبرى في أوروبا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، عكست حالة التوتر بين القوى الكبرى في النظام الدولي من خلال الاستقطاب والاستقطاب المضاد للدول الأخرى بما يحقق مصالحها وتطلعاتها، فالحروب تغير موازين القوى بين الدول كما أنها تعيد تشكيل التحالفات، وتؤثر على القواعد التي تحكم العلاقات الدولية.

اتساقا مع ما سبق شكلت البيئة الأمنية المعقدة التي فرضها حلف الناتو بتوسعه شرقا ومحاولة وصوله لحدود روسيا تهديدا وجوديا وجب التعامل معه باستخدام القوة الصلبة لردع أوكرانيا عن طموحها بالانضمام إلى حلف الناتو على اعتبار أن نتائج ذلك سوف تحدد وضع روسيا ومكانتها في النظام الدولي في المرحلة اللاحقة للحرب، بناء عليه سوف نحاول من خلال هذه الدراسة

استشراف الآثار الجيو استراتيجية للحرب الروسية- الأوكرانية، من خلال طرح الاشكالية التالية: إلى أي مدى يمكن للحرب الروسية- الأوكرانية إحداث تغيير في شكل النظام الدولي القائم وفي علاقات القوى المشكلة له؟

ولتوضيح الإشكالية السابقة وتحديد أطرها اعتمدنا على مجموعة من الأسئلة الفرعية لتفكيك العلاقة المركبة التي وردت في صياغتها:

- ما هو مفهوم النظام الدولي؟
 - ما هي الأسباب والدوافع الحقيقية وراء الحرب الروسية- الأوكرانية؟
 - ما هو دور القوى الكبرى في توجيه مسارات الحرب؟
 - إلى أي مدى يمكن لهذا الصراع أن يشكل معالم نظام دولي جديد؟
- فرضيات الدراسة:

للإجابة على الإشكالية والأسئلة الفرعية فقد اعتمدنا على الفرضيتين التاليتين:

الفرضية الأولى: أن تداعيات الحرب الروسية- الأوكرانية سيكون لها تأثير محدود على إعادة توزيع القوة في النظام الدولي.

الفرضية الثانية: ان انتصار روسيا في حربها على أوكرانيا سوف يعزز التوجه نحو عالم متعدد الأقطاب يكسر الهيمنة الأمريكية.

منهجية الدراسة:

تم الاعتماد في هذه الدراسة على منهج التحليل النسقي القائم على مقارنة تحليل النظم من خلال دراسة مجمل التفاعلات التي تحدث بين نظام ما وبيئته العامة عن طريق دائرة متكاملة ذات طابع ديناميكي، حيث تبدأ هذه الدائرة الديناميكية بالمدخلات وتنتهي بالمخرجات، وتقوم عملية التغذية الاسترجاعية بالربط بين نقطتي البداية والنهاية أي بين المدخلات والمخرجات، وجاء اعتمادنا على هذا المنهج لقدرته على تبيان قدرة نظام ما على الاستجابة لمجمل التغيرات التي تحدث في بيئته العامة من أجل تحقيق ما يسمى بالتوازن الديناميكي.

إلى جانب ذلك اعتمدنا على المنهج التاريخي من أجل تحديد معالم هذه الدراسة وبالتحديد عندما يتعلق الأمر بتتبع مراحل تطور العلاقة بين روسيا الاتحادية وحلف الناتو لمعرفة أهم الخصائص المميزة لها، وأهم المخرجات التاريخية في تطورها وكيفية تعاملها في كل مرة مع التهديدات التي واجهها كل منهما.

أولاً: الاطار المفاهيمي والكرونولوجي للنظام الدولي

يرجع الفضل في إرساء معالم نظرية النظم في العلاقات الدولية إلى مورتن كابلان الذي حدّد من خلالها قواعد وصور التفاعل داخل النماذج التي صاغها للنظام الدولي، لا سيما عن طريق التعامل مع الأنظمة بوصفها نوعاً متميّزاً من أنظمة الفعل. وفي هذا الإطار يعرف النظام الدولي بأنه: "مجموع المبادئ والأعراف والأسس التي تضبط التفاعلات بين الأطراف الأساسية المؤثرة في العلاقات الدولية، بحيث تفرض نمطاً من السلوكيات تتسم بالتنظيم والاستقرار بدل

الفوضى¹. "ومن جانبه يعرف كنيث والتز النظام الدولي بأنه: "مجموع الوحدات الدولية المتفاعلة فيما بينها فمن جهة يتألف النظام الدولي من هيكل، ومن جهة ثانية من وحدات تتفاعل مع بعضها البعض². "وعليه يقر والتز بمبدأ أسبقية البنية في التأثير على سلوك الوحدات المشكلة للنظام.

بناء على ما سبق يمكن استخلاص أن النظام الدولي يركز على أربع نقاط أساسية هي:

- الوحدات الدولية: والمقصود بها فواعل وأطراف العلاقات الدولية أي كل سلطة أو هيئة أو تجمع مؤهل لأن يلعب دورا ما على الساحة الدولية، أي الوحدات الدولية التي تمارس نشاطات من شأنها أن تؤثر بشكل أو بآخر في حركة التفاعل الدولي، فالفاعل الدولي يجب أن يكون قادرا على لعب دور ما على المسرح الدولي.
- الهيكل الدولي: ويقصد به كيفية توزيع المقدرات، وبالتالي ترتيب وحدات النسق الدولي بالنسبة لبعضها البعض، والهيكل الدولي هو الذي يجعل من الممكن النظر إلى النسق باعتباره وحدة مترابطة.
- المؤسسات الدولية: وتعني مجموع القواعد والأعراف والمبادئ التي تنظم سلوك الفاعلين الدوليين.

¹ Kenneth Waltz. Theory of International Politics. Reading Mass Publisher. 1979

P 123.

² العيد محمادي، زياني زيدان، تأثير عملية انتقال القوة في النظام الدولي على العقوبات الاقتصادية الدولية، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، جامعة باتنة، المجلد 7، ع 01، 2022، 448.

- العمليات: وهي الأنشطة التي تتم داخل الهيكل الدولي، وتمثل الشق الديناميكي الذي تسعى من خلاله الوحدات الدولية لتحقيق أهدافها في البيئة الدولية³.

يقر جورج مودلسكي بأن الهيمنة على النظام الدولي تتغير بصورة تقريبية كل 100 سنة، مستشهداً بذلك بأمثلة تاريخية تؤكد وجود دورات للهيمنة العالمية فقد هيمنت البرتغال على النظام الدولي خلال الفترة 1518-1609، تلتها هولندا خلال القرن اللاحق 1609-1713، ثم المملكة المتحدة لدورتين متتاليتين من 1714-1815 والأخرى من 1816-1945، وحاليا تهيمن الولايات المتحدة على النظام الدولي منذ 1945 بعدما تشاركت الهيمنة مع الاتحاد السوفيتي السابق حتى العام 1991. من خلال هذه الأمثلة التاريخية يتضح وجود عناصر مشتركة تشكل مجتمعة الظروف السابقة لولادة أي نظام دولي جديد، يمكن ايجازها كالتالي⁴:

- أن كل نظام دولي تسبقه حرب أو حروب رئيسية.
- أن كل نظام دولي يفرض مجموعة من الدول تعتبر هي الأكثر فاعلية فيه.
- أن كل نظام دولي يرغب في إقامة توازن للقوى، وإعادة الأمور إلى الوضع الطبيعي.

³ غضبان مبروك، "النظام الدولي الجديد بين الطموح الأمريكي لقيادة العالم وتحديث الاستعمار الحديث"، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة باتنة، ع 01، 1994، ص 104.

⁴ John K. Hord, George Modelski, ed. "Exploring Long Cycles", Comparative Civilizations Review, Volume 21, Number 21(Fall 1989). P 137.

- أن كل نظام دولي ينتج ميكانيزمات وآليات جديدة تساهم في العمل على إرساء قواعد للسلم والأمن الدوليين.

ثانياً: خلفيات الحرب الروسية- الأوكرانية

شكلت الحرب الروسية- الأوكرانية أحد أبرز الأزمات الجيوسياسية التي واجهتها أوروبا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، في ظل مسعى أمريكي- أوروبي لاحتواء روسيا ومحاصرتها جغرافياً، اتساقاً مع رؤية بريجنسكي بأنه لا يمكن لروسيا من دون أوكرانيا أن تكون دولة عظمى، بل تتحول إلى دولة آسيوية فقط، وبذلك فقد شكلت أوكرانيا حجر الزاوية في استراتيجية الاتحاد السوفيتي السابق خلال الحرب الباردة وراء روسيا، فقد كانت أوكرانيا ثاني أكبر قوة بشرية داخل الاتحاد السوفيتي ومصدراً مهماً لعدد كبير من المنتجات الزراعية والصناعات الدفاعية للاتحاد السوفيتي، كما شكلت سيفاستبول في شبه جزيرة القرم قاعدة استراتيجية ومركزاً لأسطول البحر الأسود وجزءاً من الترسانة النووية.

في 24 فيفري 2022 أعلن الرئيس بوتين عن عملية عسكرية خاصة في أوكرانيا تستهدف حماية الأمن القومي الروسي من الخطر الوجودي الذي يشكله التوسع الأمني للناتو شرقاً ما يجعل بنيته التحتية العسكرية ملاصقة للحدود الغربية لروسيا، ولحماية الروس -غالبية السكان- في شرق أوكرانيا من الإبادة والتطهير العرقي الذي يمارسه النظام في كييف، الذي يواصل مساعي الانضمام للمؤسسات الغربية⁵.

⁵ Jonathan Masters. Ukraine : Conflict at the Crossroads of Europe and Russia. Council of Foreign Relations. Look : Ukraine : Conflict at the Crossroads of Europe and Russia . Council on Foreign Relations (cfr.org).

وُصفت روسيا بقيادة بوتين بأنها قوة انتقامية حريصة على استعادة قوّتها ومكانتها السابقة، حيث كتب جيرارد توال أستاذ الشؤون الدولية في جامعة فرجينيا للتكنولوجيا في كتابه (بالقرب من الخارج): "كان هدف بوتين دائما إعادة روسيا إلى مكانة القوّة العظمى في شمال أوراسيا"، فالهدف النهائي لم يكن إعادة إنشاء الاتحاد السوفيتي ولكن جعل روسيا عظيمة مرة أخرى⁶، وفي هذا السياق يمكن إجمال أهم الأسباب التي دفعت روسيا لغزو أوكرانيا على النحو التالي:

- حماية روسيا لحدودها ووحدتها الترابية من التفكك ولا تسعى إلى التوسع على خلاف الناتو الذي يتقدم بثبات نحو الحدود الغربية لروسيا مع نشر درعه الصاروخية على حدودها.
- حدوث تغير جوهري في السياسة الخارجية الروسية بعد أن تأكدت روسيا بأن الغرب لم يعد ينظر إليها بوصفها شريكا مساويا له في الحقوق.
- محاولة الناتو التوسع شرقا نحو روسيا بما يهدد فضاءها الحيوي المتمثل في الجمهوريات السوفيتية السابقة، يجعلها تنظر إلى أوكرانيا بمثابة الدولة الحاجز بينها وبين الغرب، وبالتالي فأوكرانيا الحيادية هي الأفضل بالنسبة للأمن القومي الروسي.
- عدم الاستجابة الغربية للمقترحات الروسية واستمرار الدعم الغربي لمن تصفهم موسكو بالنازيين الجدد في أوكرانيا، أدّى إلى تفاقم الأزمة وزيادة ما تصفه روسيا استهدافا وجوديا لها.

⁶ سلوى يوسف الإكيلي، أثر الحرب الروسية الأوكرانية على تفسير وتطوير قواعد القانون الدولي، المجلة الدولية للفقّه والقضاء والتشريع، نادي قضاة مصر، المجلد 04، ع 01، 2023، ص 240.

- حق السكان الناطقين بالروسية في شرق أوكرانيا في ممارسة لغتهم وثقافتهم وتعزيز علاقتهم بروسيا الأم، التي تستشعر حساسية المسألة وتجعلها تساوي بين النازيين الأوكران وهتلر في محاربة السوفييت⁷.

ثالثاً: المواقف الدولية من الحرب الروسية الأوكرانية

تعد مواقف الدول من الحروب محدداً مركزياً في تحديد مآلاتها ونتائجها وتوجيه مساراتها، وفي هذا الإطار تباينت مواقف القوى الدولية الكبرى من الحرب الروسية الأوكرانية بناءً على درجة رضاها عن النظام الدولي القائم، ومدى تقاطع مصالحها مع أطراف الصراع من ناحية أخرى:

1- الموقف الغربي:

يمكن اعتبار الحرب الروسية الأوكرانية نقطة تحول حاسمة خاصة للمنظومة الغربية، التي أعادت صياغة الافتراضات الأساسية حول أمنها القومي وخطر المواجهة النووية، نتيجة لذلك زاد حلفاء الولايات المتحدة بشكل كبير من المساعدات الدفاعية والاقتصادية والإنسانية لأوكرانيا، بالإضافة إلى تشديد عقوباتهم على روسيا. ومع ذلك كان القادة الغربيون حريصين على تجنب الإجراءات التي يعتقدون أنها ستدفع بلدانهم إلى الحرب أو تصعيدها بطريقة أخرى، مما قد يشكل تهديداً نووياً في أقصى الحدود، كما لا تزال الولايات المتحدة ملتزمة باستعادة أوكرانيا لسلامتها الإقليمية وسيادتها، ولا تعترف بمطالبات روسيا بشبه جزيرة القرم أو المناطق الأخرى التي ضمتها روسيا بشكل غير قانوني.

⁷ قبان مروان، ندوة الأزمة الأوكرانية: أسبابها ومآلاتها وانعكاساتها على المنطقة العربية، سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ع 09 ، 2014، ص 154.

اتخذت القوى الغربية العديد من الخطوات لزيادة المساعدات لأوكرانيا ومعاقبة روسيا على هجومها عام 2022، حيث قدمت الولايات المتحدة لأوكرانيا أكثر من 50 مليار دولار من المساعدات، والتي تشمل مساعدات عسكرية متقدمة، مثل أنظمة الصواريخ والمروحيات والطائرات بدون طيار والدبابات كما يقدم العديد من حلفاء الناتو مساعدات مماثلة. وفي الوقت نفسه توسعت العقوبات الدولية على روسيا بشكل كبير، حيث غطت الكثير من قطاعاتها المالية والطاقة والدفاعية والتكنولوجية، واستهدفت أصول الأوليغارشية الأثرياء والأفراد الآخرين.

كما حظرت الولايات المتحدة وبعض الحكومات الأوروبية غالبية البنوك الروسية من جمعية الاتصالات المالية العالمية بين البنوك، وهو نظام مراسلة مالية يعرف باسم SWIFT، وفرض قيود على قدرة روسيا على الوصول إلى احتياطياتها الأجنبية الهائلة (حوالي 630 مليار دولار)، كما أدرجت في القائمة السوداء البنك المركزي الروسي، علاوة على ذلك أغلقت العديد من الشركات الغربية المؤثرة أو جمدت نشاطها في روسيا⁸.

2- الموقف الصيني:

إن الصين باعتبارها فاعل مهم ومؤثر على الساحة الدولية، تدرك بأن موقفها من الصراع الروسي- الأوكراني له تداعيات بعيدة المدى على النظام الدولي القائم، لذا حاولت تكييف ومواءمة سياستها الخارجية مع التحديات التي فرضتها

⁸ Jonathan Masters. Op Cit

الحرب الروسية الأوكرانية، انطلاقاً من موقفها الثابت بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول ذات السيادة.

بناءً على ما سبق حاولت الصين تحقيق التوازن الصعب بين علاقتها الاستراتيجية مع روسيا وبين اتباع قيمها في احترام القانون الدولي، واتساقاً مع ذلك التزمت بعدم تقديم مساعدة أو دعم عسكري مباشر لروسيا التزاماً منها بمبدأ عدم التدخل، بالمقابل ركزت جهودها على تحسين وتعزيز مشاركتها الاستراتيجية مع روسيا من خلال الوسائل المالية (الدعم الاقتصادي)، ما يعزز سمعتها كفاعل دولي مسؤول في أوقات الأزمات.

وعلى النقيض من الغرب دعمت الصين المخاوف الأمنية الروسية بحيث اعتبرتها مشروعة، وبأن توسع حلف شمال الأطلسي (الناتو) يجب أن يتوقف على اعتبار أنه يشكل تهديداً للاستقرار العالمي، بالإضافة إلى الدعوة إلى ضرورة العودة إلى اتفاقيات مينسك، وهي سلسلة من الاتفاقيات التي تهدف إلى إنهاء الحرب في منطقة دونباس ولا تشارك فيها الولايات المتحدة، في إشارة واضحة إلى تطلع الصين لمنع الولايات المتحدة من التدخل في الأزمة الأوكرانية⁹.

ومن جهة ثانية، أثارت العملية العسكرية الروسية الخاصة في أوكرانيا مخاوف أخرى لدى بكين تتمثل في أنها قد تعمل على تعزيز بناء شراكات جديدة بين الغرب ودول منطقة المحيطين الهندي والأطلسي، الأمر الذي يُشكل تهديداً بالنسبة للصين، التي ترغب في بناء عالم متعدد الأقطاب، هذا فضلاً عن المقارنات

⁹ Melinda Liu. China and Russia's Friendship in Ukrain Is Without Benefits. Foreign Policy. Look : China and Russia's Friendship in Ukrain Is Without Benefits (foreignpolicy. Com)

المُتصورة بين وضع أوكرانيا وتايوان، والتخوف من أن تحذو بكين حذو موسكو في مسألة تايوان من خلال إسقاط السيناريو الأوكراني عليها.

3- موقف القوى الدولية الأخرى:

ونقصد بها القوى الدولية التي التزمت بالحياد، بمعنى لم تدن روسيا علانية، وفي المقابل لم تدعم أوكرانيا، ويأتي على رأس هذه الكتلة دول البريكس (الهند، البرازيل وجنوب افريقيا)، بالإضافة إلى تركيا ومعظم دول افريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية، حيث يمكن صياغة العديد من الأسباب، بدء من المصلحة الذاتية الاقتصادية أو العسكرية المباشرة، وصولاً إلى اتهام الغرب بالانفاق والماضي الاستعماري، وبذلك لا يوجد دافع أو سبب مشترك يجمع كل هذه الدول عدا كونها تسعى للتخلص من القطبية الأحادية المؤقتة التي أفرزها انهيار الاتحاد السوفيتي وتطلعها إلى تغيير التراتبية الدولية السائدة حتى في المنظمات الدولية كهيئة الأمم المتحدة وغيرها، وهذه المرحلة الانتقالية في النظام الدولي قد تتطلب بعض الوقت لكنها ستكون حتمية الحدوث¹⁰.

كما أن قسماً كبيراً من هذه الكتلة المحايدة تسعى لإنهاء الهيمنة الغربية على الاقتصاد العالمي وبخاصة محورية الدولار الأمريكي في النظام المالي العالمي، وهو ما تستغله الولايات المتحدة في فرض عقوبات مالية واقتصادية أحادية الجانب على الدول التي لا تتماشى مع سياساتها، وتوجهاتها الاستراتيجية في إبطاء التحول نحو التعددية القطبية وإدامة الأحادية والهيمنة الأمريكية على النظام الدولي في القرن الحادي والعشرين.

¹⁰ العرداوي خالد عليوي، ملامح استقطاب دولي خطير وحرب باردة جديدة، مركز الفرات، 2022، على الرابط التالي: ملامح استقطاب دولي خطير وحرب باردة جديدة (fcds.com)

رابعاً: رؤية استشرافية لسيناريوهات التغيير في النظام الدولي

إن قراءة سريعة لصيرورة النظام الدولي منذ معاهدة وستفاليا، تكشف لنا بأن مسارات التغيير في توازنات القوى المشكلة لبنيتها ميدانها القارة الأوروبية، وبالتالي فإن أي صراع داخلها يصعب التكهّن بسياقه ومخرجاته على النقيض من الصراعات والحروب في أي منطقة أخرى من العالم، هذه الحقيقة يمكن إسقاطها على الحرب الروسية- الأوكرانية على اعتبار أن نتائج هذه الحرب لن تنحصر على أطرافها أو تقتصر على الاقليم الذي تدور فيه، بل ستمتد نتائجها وآثارها لتعيد تشكيل خريطة القوى العالمية المشكلة للنظام الدولي من خلال إعادة توزيع القوة وتحديد الأدوار في هيكل النظام الدولي¹¹.

فالحرب الروسية- الأوكرانية جاءت ضمن سياق صراعي متعدد الجهات ما يصعب الجزم بطبيعة توازنات القوى الدولية في أعقاب نهاية الحرب¹²، وذلك بالنظر إلى جملة من الأسباب تأتي في مقدمتها ضبابية المدى الزمني الذي قد تستغرقه، حيث كان من المتوقع أن تنتهي في غضون أيام قليلة من بدايتها على شاكلة الحرب الروسية- الجورجية عام 2008، ولكن في اتجاه مضاد لهذه التوقعات ما زالت الحرب جارية من دون أفق واضح لنهايتها، مع استمرار تدفق المساعدات الغربية لأوكرانيا، فروسيا عملياً تحت قيادة الرئيس بوتين عملت على

¹¹ فرحات أكرم حسام، "انعكاسات الحرب الأوكرانية على توازن القوى وترتيبات الأمن الإقليمي في آسيا"، مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد 229، 2022، ص 21.

¹² العرقباوي عبد الله، "السؤال الأكثر جدلاً بين الإستراتيجيين.. هل تكون الحرب في أوكرانيا بداية نظام دولي جديد؟"، الجزيرة نت، فيفري 2022، على الرابط التالي: السؤال الأكثر جدلاً بين الإستراتيجيين.. هل تكون الحرب في أوكرانيا بداية نظام دولي جديد؟ | أخبار سياسة | الجزيرة نت.

الدفع نحو مراجعة النظام الدولي الجديد الذي وضعت معالمه الولايات المتحدة بعد انهيار وتفكك الاتحاد السوفيتي بما يضمن قيام شراكات جديدة تباعد عن الانفراد الأمريكي.

السيناريو الأول:

يرتبط هذا السيناريو بنظرية تحول القوة لأورجانيسكي، الذي قسّم من خلاله الدول إلى فئات متباينة قياساً بمدى قوّتها ومدى رضاها وقبولها لموقعها ضمن توازنات القوة في هيكلية النظام الدولي القائم، وفي هذا السياق صنّف أورجانيسكي روسيا باعتبارها دولة قويّة وغير راضية، ما يعني أن لها رصيد من القوة لا يمكن تجاهله يؤهلها لممارسة نفوذ وتأثير أكبر ممّا تسمح به القواعد التي يفرضها هيكل القوة الموجود. فقد مثلت الحرب الروسية- الأوكرانية التجسيد العملي لعدم رضاها وقبولها لقواعد النظام الدولي الحالي، المتميّز بالانفراد والبراغماتية الأمريكية، وهو ما تجلّى في إصرار الأخيرة على دعم جهود أوكرانيا الحثيثة في الانضمام إلى الهيكل الأمني الغربي في تجاهل صارخ للمصالح الحيوية والاستراتيجية لروسيا.

يفترض هذا السيناريو تحقيق روسيا لانتصار عسكري، وبالتالي إلحاق الهزيمة بأوكرانيا ومن خلفها الولايات المتحدة والغرب، ما يدفعها عملياً إلى استعادة زخمها ونفوذها الاقليمي والدولي، في مقابل تراجع النظام الدولي القائم على القواعد الليبرالية، على الأقل في هيئته العالمية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، عندما كانت القوة الأمريكية في أوجها وكانت قادرة وحريصة على تنفيذ رؤيتها الموسعة للنظام الدولي.

فتلك الظروف لم تعد قائمة رغم أن الولايات المتحدة لا زالت القوة البارزة، إذ أن عناصر القوة والنفوذ الدولي أصبحت أكثر انتشاراً مما كانت عليه في عصر الهيمنة الأحادية الأمريكي، ما يسمح لروسيا المنتصرة بأن تدخل لقمة النظام العالمي كطرف شريك في وضع القواعد والأسس لنظام دولي جديد، بما يتناسب والتوزيع الجديد للقوة والنفوذ داخله، ليخرج بذلك النظام الدولي من دائرة الأحادية القطبية إلى نظام ثنائي أو ثلاثي الأقطاب.

السيناريو الثاني:

في حين ينصرف هذا السيناريو إلى انكسار روسيا وانهزامها في هذه الحرب، أو تحقيقها لنجاحات عسكرية محدودة، ما يعني نجاح الولايات المتحدة والناطو في إدارة هذه الحرب بشكل يحرم روسيا من تحقيق نتائج استراتيجية كبيرة، وبالتالي بقاء النظام الدولي الراهن على حالته قبل هذه الحرب (أحادي القطب)، وعليه قد تدفع خسارة روسيا لهذه الحرب إلى تكريس هذه الهيمنة عبر إعادة ضخ عناصر قوة واستدامة للهيمنة الأحادية على عكس المأمول قبل هذه الحرب من الجانب الروسي.

فعلى الرغم من التحديات التي فرضتها الحرب الروسية- الأوكرانية، إلا أن هذا السيناريو يحد من قدرتها على إحداث قدر كبير من التغيير في هيكل القوة لعدة أسباب أهمها أن النظام الدولي الحالي الذي أرست دعائمه الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، مازال يتمتع بقدر كبير من النفوذ والتأثير عبر المؤسسات الغربية، وقد تجلى ذلك في كم العقوبات الغربية على روسيا بعد

اجتياحها لأوكرانيا، حيث عملت القوى الدولية الأخرى على تجنب تقديم الدعم المباشر لروسيا في الحرب خوفا من سيف العقوبات الغربية. من جانب آخر أبان النظام الدولي الحالي على قدرة عالية على امتصاص الهزات التي من شأنها أن تغير قواعده وتدفع نحو إعادة بناء نظام دولي جديد. كما قد يصاحب هذا السيناريو تداعيات على توازنات القوة في أوروبا، سلبا أو ايجابا فقد تتجه روسيا وفق هذا السيناريو إلى تعويض خسائرها الاستراتيجية في أوروبا من خلال التركيز على الساحة الآسيوية، وقد تتراجع روسيا سنوات بعد هذه الحرب.

بناء على ما سبق فقد أدت الحرب الروسية-الأوكرانية إلى إثارة الانقسامات والجدل حول مدى تأثيرها على مستقبل النظام الدولي، في ضوء ما أسفرت عنه من شواهد متعددة تعد إيدانا بالانتقال إلى نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب بدلا من النظام أحادي القطبية السائد منذ نهاية الحرب الباردة.

الخاتمة:

من خلال هذه الورقة البحثية يتضح جليا بأن النظام الدولي يشهد تغيرات وتحولات عميقة لم يشهدها منذ نهاية الحرب الباردة، نتيجة لتقاطع مسارات مصالح القوى الكبرى المشكلة له، وهو ما ينطبق على الحرب الروسية الأوكرانية التي عكست تقاطع صفري لمصالح القوى الكبرى ساهمت في تعميق حالة عدم الرضا الروسي على النظام الدولي القائم.

وفي هذا السياق شكل تمدد حلف الناتو شرقا ومحاولته ضم أوكرانيا إلى نسيجه الأمني عامل تسريع لهذه الحالة، بناء على ما سبق فقد شكلت هذه الحرب

نقطة تحول مفصلية للنظام الدولي، على اعتبار أن نتائجها ستعكس بصورة أو بأخرى على مستقبله، وهنا ينظر للحرب الروسية الأوكرانية كأحد أهم مظاهر التحولات الدولية الجارية، وسط صراع متعدد الأوجه لقيام نظام دولي جديد، أو قدرة الغرب على إعادة فرض هيمنته مرة أخرى، خاصة فيما ترتب على هذه الحرب من مشهد بدت فيه روسيا قادرة على تحدي الغرب والتصدي لاستراتيجية الناتو في شرق أوروبا، بل وفرض ذلك بالقوة العسكرية في مشهد لم تعتد عليه أوروبا منذ عقود.

استنادا إلى ما سبق، فقد توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى جملة من النتائج نجملها كالتالي:

- 1- أن الحرب الروسية- الأوكرانية جسدت رفض روسيا لتمدد الناتو شرقا وحصارها استراتيجيا داخل حدودها بما يقلل من نفوذها اقليميا ودوليا.
- 2- أن الولايات المتحدة دفعت نحو هذه الحرب لترسيخ هيمنتها على النظام الدولي القائم على القواعد الليبرالية، بحيث تعمل على إحداث هزيمة استراتيجية بروسيا، وفي المقابل تعميق التبعية الأوروبية لها خاصة في المجال الأمني.
- 3- أفرزت الحرب الروسية- الأوكرانية مؤشرات على وجود تحول في ميزان القوة تدفع نحو إعادة تشكيل وبناء نظام دولي بناء على التوزيع النسبي الجديد للقوة.
- 4- أن استقرار النظام الدولي مرتبط إلى حد بعيد بنتائج هذه الحرب ومواقف القوى الدولية المراجعة الأخرى كالصين.

التوصيات:

في ختام هذه الدراسة اقترحنا مجموعة من التوصيات نلخصها كالآتي:

1- على أطراف النزاع أن تدرك بأن الاعتماد على القوة العسكرية لإحداث التغيير أو ضبط القواعد الحاكمة للنظام الدولي قد أثبتت فشلها، وبأن الاستمرار في ذلك يمكن أن يؤدي إلى توسع الحرب إلى حرب عالمية جديدة، لذا وجب وضع الاطار السياسي -التفاوض على القواعد الجديدة للنظام الدولي- كخيار ذي أولوية.

2- ينبغي على الولايات المتحدة والغرب عموما الادراك بأن زمن تفوقه الكلي وفرض قواعده على الجميع قد ولى، لذا وجب عليه أن يضع مصالح القوى الأخرى في الاعتبار من أجل الوصول إلى قواعد جديدة بناء على موازين القوى الحالية.

3- أثبتت هذه الحرب بأن الدولة الوطنية لوحدها غير قادرة على تحقيق أمنها القومي بمفردها، لذا عليها أن تسعى لبناء تحالفات اقليمية ودولية تسمح لها بتشكيل دائرة حماية أوسع ومجالات تحرك أكثر عمقا.

4- أثبتت هذه الحرب بما لا يدع مجالا للشك بأن حروب القرن الحالي ليست كسابقاتها التقليدية، بحيث أصبحت الحرب الهجينة والتفوق التكنولوجي هما مفتاح الانتصار في هذه الحروب، لذا وجب على الدول الطامحة لإثبات نفسها في النظام الدولي السعي لامتلاك هذا النوع من القدرات.

- قائمة المراجع:

أولا: باللغة العربية

1- المقالات:

- أكرم حسام فرحات، "انعكاسات الحرب الأوكرانية على توازن القوى وترتيبات الأمن الإقليمي في آسيا"، مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ع 229 ، 2022.

- الإكيلي سلوى يوسف، "أثر الحرب الروسية الأوكرانية على تفسير وتطوير قواعد القانون الدولي"، المجلة الدولية للفقه والقضاء والتشريع، نادي قضاة مصر، المجلد 04، ع 01 2023.

- العبد محمادي، زيدان زباني، "تأثير عملية انتقال القوة في النظام الدولي على العقوبات الاقتصادية الدولية"، المجلة الجزائرية للأمن الانساني، جامعة باتنة، المجلد 7، ع 01 2022.

- غضبان مبروك، "النظام الدولي الجديد بين الطموح الأمريكي لقيادة العالم وتحديث الاستعمار الحديث"، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة باتنة، ع 01، 1994.

- قبلان مروان، "ندوة الأزمة الأوكرانية: أسبابها ومآلاتها وانعكاساتها على المنطقة العربية"، سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ع 09، 2014.

2- مواقع الانترنت:

- عبد الله العرقباوي، "السؤال الأكثر جدلا بين الإستراتيجيين.. هل تكون الحرب في أوكرانيا بداية نظام دولي جديد؟"، الجزيرة نت، فيفري 2022، على الرابط التالي:
www.aljazeera.net/politics/2022/2/27-السؤال-الأكثر-جدلا-بين-
الاستراتيجيين

تاريخ الاطلاع: 2024-04-16

-خالد عليوي العرداوي، "ملاح استقطاب دولي خطير وحرب باردة جديدة"، مركز الفرات، 2022، على الرابط التالي: www.fcds.com/tags/167/

تاريخ الاطلاع: 2024-04-27

ثانياً: باللغة الأجنبية

1- Books

- Kenneth Waltz. Theory of International Politics. Reading Mass Publisher. 1979.

2- articles

-John K. Hord, George Modelski, ed. "Exploring Long Cycles", Comparative Civilizations Review,Volume 21,Number 21(Fall 1989).

3- Websites

- Jonathan Masters. Ukraine: Conflict at the Crossroads of Europe and Russia. Council on Foreign Relations. Look :

Ukraine: Conflict at the Crossroads of Europe and Russia | Council on Foreign Relations (cfr.org) Accessed : 22-05-2024

- Melinda Liu. "China and Russia's Friendship in Ukraine Is Without Benefits". Foreign policy. Look :

China and Russia's Friendship in Ukraine Is Without Benefits (foreignpolicy.com) Accessed : 29-05-2024